امانويل لفيناس وميشيلا مارز انو: منزلة الوجه الإنساني في البيوتيقا

Emmanuel Levinas and Michaela Marzano : Face stading in the biotica

فايزة بغياني

كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2

تاريخ الاستلام: 2020/09/10 تاريخ القبول: 2020/09/26 تاريخ النشر: 2020/12/30

الملخص:

بدءا من الوجه الإنساني تتأسس كل علاقة أخلاقية مع الآخر، لذلك جعله امانويل لفيناس المفهوم المحوري في فلسفته اذ هو أكثر أعضاء الجسد يتبلور معه الشعور بالهوية، فهو بصمة الشخصية وأساس كل علاقة تواصل ولقاء بين الذات والآخر، و ما يميزه خصوصيته وروحانيته بل قدسيته لذلك تساءلت الفيلسوفة ميشيلا مارزانو أثناء قراءتها اتيقا الغيرية عند لفيناس، عن حالة الإنسان الذي يفقد وجهه، فهل زراعة وجه جديد له ستمكنه من استرجاع الشعور بذاته وهويته.

الكلمات المفتاحية : الوجه، الذات ، الآخر، الأنسنة، الإتيقا، البيوتيقا.

Abstract From the face we start each moral relatioship with the other , this is why Emmanuel Levinas mode it the basic concept of his philosophy, It is the most part of the body that crystalizes with it to sense identity, It is the basis of communication and encounter of what distaguishes his privay and spirtuality, for that the philosipher Mechilla Marzano, woudered about the situation of the human, will a new face s cultivation enable him to regain the sense of self and identity.

Keywords: The face, the self, the other, the humanity, the Ethics , bio Ethic

[1]- فايزة بغياني، طالبة دكتوراه، baghianifai@gmail.com مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر

مقدمة:

إن الوجه هو المكسب الإتيقي الأكبر في كل تاريخ الإنسانية،كشفه عنوان للتواضع والكرم والأنس والمؤانسة، و كذلك وحدة النوع الإنساني، لذلك كان التخلي عنه ليس إلا التخلي اليائس عن إنسانيتنا، اذ يمكن القول بأن الوجه هو من بين كل أعضاء الجسد، التي يمكن أن يتبلور معها الإحساس بالهوية، بحيث نقول وجه النهار ووجه الليل ووجه الدهر أي أوله ، فهو أول عناصر الجسد وأهمها، و نقول أيضا وجه الكلام أي صدقه وقصده ، ونقول وجه الشجاع أي جسارته، ووجه الكلام هو معناه، ووجوه البلاد هم أشرافهم ، ذلك أن الوجه في دلالته يرتبط بالشرف والصدق والشجاعة لذلك يمكننا ان نقول هو أنبل أعضاء الجسد، فمن خلاله نتعرف على ذواتنا والآخر، ولذلك فان أي تشوه يصيب الوجه قد يعكر حياة الإنسان وأحيانا قد يحرمه من هويته، ليعيش دراما يومية، لكن بالمقابل فان أي جرح قد يصيب عضوا آخر من أعضاء الجسد، حتى وان كان خطيرا فلا يؤثر على الإحساس بالهوية الشخصية، فهو المكان الأكثر أهمية وخصوصية وأكثر ارتباطا بالأنا[1] اذ يمثل أحد المعطيات التكوينية والجلية للوجود البشري.غير أن التطور التقنو _العلمي الهائل الذي أحرزه علماء الهندسة الوراثية، طال هذا الوجه وباقي الجسد، لأننا صرنا لا نعرف تفاصيلهما إلا في مخابر الأطباء الذين استبدلوا النموذج العلاجي بالتحسيني، فقد انتقل هدف الطب من علاج الأمراض والأوبئة التي تطول وجه الإنسان وباقي جسده إلى إدخال تعديلات عليهما مثل إجراء عمليات التجميل لتحسين ملامح الوجه، بل امتد ذلك لزراعة الأنسجة التأصيلية للوجه، وإنشاء منظومة عضوية حسب الطلب، لتحل النزعة التقنوعلمية بدلا من النزعة الإنسانية، وذلك للوصول بالإنسان إلى أعلى مراتب الوجود، فيستبدل مفهوم الإنسان المؤنسن بالإنسان الفائق أو العصبوي أو الآلة، انه إنسان يمتلك جميع الصفات عدا صفة الإنسانية نتيجة التغييرات الهائلة التي أدخلت على وجهه وجسده، وهنا تدخل كل من ايمانويل لفيناس وميشيلا مارزانو لمناقشة هذا الوضع المؤسف الذي لحق بإنسانية الإنسان، فقد ساهمت إتيقا لفيناس في بلورة أهم مفاهيم المعجمية البيواتيقية ونقصد المسؤولية والإتيقا والوجه والجسد ...إلخ، وعليه: هل يسير الطب الحديث بالإنسان نحو التحسين أم نحو الإندثار؟ وما هي المكانة التي يتخذها الوجه في الطب والإتيقا؟ وكيف يمكن للإتيقا أن تعيد النظر في نتائج الطب، لتساهم في نقد حظارة التمركز، ومن ثم إبتكار طرق لإعادة انسانوية الإنسان الضائعة؟ وكيف ستساهم الإتيقا كفلسفة أولى في إعادة البعد الروحي و التيولوجي الى الوجه ، لتزهر الإنسانية فيه من جديد، ردا على تمادي الطب الحديث في الفترة الأخيرة؟

1-الإنسان الفائق وشبح الهندسة الور اثية:

[1] –ديفيد لوبروتون، سوسيولوجيا الجسد، ترجمة عياد بلال و ادريس المحمدي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 135.

شهدنا في الفترة الأخيرة من القرن العشرين ثورة بيولوجية غيرت في تصورنا للإنسان ومعه الجسد المتألم والذي يعاني، إلى تصور يتمثل في تنصيب الإنسان كمركز للوجود ومن ثم بطله البرومثيوسي وذلك من خلال الإتيان بماشريع طبية تتمثل في تمديد الأمل في الحياة الجسدية حتى سن جد متقدمة، فهذا ما دافع عليه رواد الهندسة الوراثية بعد العمل على القضاء على التشوهات الخلقية في شتى أعضاء الجسد والقضاء على التجاعيد التي تصيب الوجه من خلال عمليات التجميل التي صارت على حد تعبير المحللة النفسية الزا غودار بمثابة قناع تجميل تافه لأننه حسبها : "إننا نخفي وراء السيلفي المبتسم دائما، أقنعة تراجيدية"[2].

نعم انها عمليات تجميلية تمثل قناع اللامعنى وتجميل كاريكاتوري لا قيمة له؛ ترجم لغة العصر ولبس ثوب الحاضر لأن الإنسان الغربي الحديث تنخره النرجسية والكبرياء، يعشق ذاته وصورته في مجتمع الصورة أو الفرجة بعبارة أوضح وهذا ما توضحه إلزا غودار بقولها:" لقد حل المجتمع الصورة-الهشة، التي أطلق عليها الأيدولون محل رؤية العالم التي كانت تستند منذ العصر اليوناني الى الخطاب العقلاني اللوغوس"[3]انها صورة انسان يسبح على سطح تافه يفتقد لكل أبعاد العمق، فوسط هذه القوالب الشكلانية الباحثة عن الإنسجام الأفقي انسدت جميع الطرق المؤدية الى التفسيرات التاريخية واندثر الإنسان وسط الأبنية الخطية المتراصة، بعد أن أوصدت أبواب التحليل النفسي غير المنضبط بالمفتاح في وجهه[4]فقد ضاعت انسانوية الإنسان أمام هذا التطور التقني الهائل الذي حدث في جميع المجالات ولا سيما في مجال الطب.

وفي العشرية القادمة سيعمل رواد الهندسة الوراثية والنوربيولوجيستneurobiologist أمثال جان بيار شانغو J. P. Changeux البيولوجي الفرنسي الذي كان يشتغل في مجال الفيزيولوجيا و الأعصاب إذ له عدة مؤلفات في هذا المجال نذكر منها **الجمال في المخ La Beauté dans le cerveau والذي أعرب فيه عن نهاية الإنسان المؤنسن وبداية بروز ملامح الإنسان العصبوي والذي نستند الى بعد واحد في تعريفه وهو البعد البيولوجي فقط**[5] ، والذي يحتاج الى العمل على ادخال تعديل جذري في النظام العام العصبي والذهني للجسد، من خلال استخدام آلات نانوميترية لاستبدال الأعضاء أو تحسينها وهذا كله لتحقيق الحلم الذي راود رائد النزعة البيولوجية المادية الراديكالية جوليان جان أوفري

---

[2] – ديفيد لوبروتون، سوسيولوجيا الجسد ، مرجع سابق، ص118.

[3] – إلزا غودار، أنا أو سيلفي إذا أنا موجود(تحولات الأنا في العصر الإفتراضي)، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي للكتاب الدار البيضاء، ط1، 2019، ص193.

[4] – عمر مهيبل، كتابات خارج النسق، دار الروافد الثقافية–ناشرون، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، وهران، بيروت، ط1، 2020ص175.

[5]-Biographie de Jean-Pierre Changeux www.franceculture.fr

دو لا ميتريJ. O.d. la Metttrie الفيلسوف والبيلوجي والطبيب الفرنسي ذو النزعة المادية الراديكالية والذي كان مغاليا في نزعته المادية جدا حيث انه دافع عن النزعة الآلية بعد رونيه ديكارت وله مؤلفات عديدة نذكر منها مؤلفه الأساسي **الإنسان الآلة LHomme machine** الفه في سنة 1747م[6] وهو انسان يمتلك جميع الصفات غير صفة الإنسانوية، كما أنه التطور الحتمي لإنسان ديكارت العاقل فنحن نعلم جيدا بأن الآلة هدية قدمها العقل للمجتمع الحديث المتعالي على الجميع، فقد صار في الفترة المعاصرة مجتمع فائق انصهر فيه الذكاء البيولوجي مع الذكاء الغير بيولوجي وذلك من أجل الحفاظ على الأنظمة العليا لألجساد لتدوم لمدة أطول وتعمل بشكل أفضل دون أن تمرض أو تتعطل وتشيخ.

وهذا كله لنرسم ملامح الإنسان الإله أين يصير الجسد البشري على صورة جسد المسيح معبدا، الا أن الإله الذي يقيم داخله يبدوا لا وجود له فيه ليغادر الإلهي السماء فيصير حسب التنبؤ الهيجلي محايثا وهو ما يعرف بأنسنة الإلهي، وتأليه الإنساني فالحداثة الفائقة على حد تعبير ألان تورين جعلت ذات الإله تنتقل إلى الإنسان، فهي لا تعني غياب السحر عن العالم بل إعادة السحر للإنسان،

وهذا ما عمل المفكر الفرنسي لوك فيري على تشخيصه في كتابه "ثورة الإنسانية المتحولة" Révolution transhumaniste "حين تحدث عن أزمة الحضارة الغربية وذلك بعد ما تحولت انسانوية الأنوار اثناء تقدمها الرشيد الى انسانوية فائقة بسبب سعيها الحثيث الى تمديد مشروع الحياة والتفوق ، فقد أكد غير ما مرة أنه طيلة مراحل حياته قد التقى بأشخاص من جنسيات مختلفة منهم فرنسيين وايطاليين وروسا، الخ، لكن الإنسان فهو يعترف بأنه لم يلتقي به أبدا في حياته، وان وجد فإن ذلك سيكون بالتأكيد دون علمه، فقد ضاعت الإنسانوية في دهاليز العدمية السحيقة[7].

فأساطير فرانكشتاين والإنسان المتهور والتي روت لنا قصة مخلوق مسخ أو سحري يفلت شيئا فشيئا من خالقه ويهدد بتخريب الأرض[8] لقد تحدث لوك فيري عن إنسان مهجن، متأله كل يوم يضاعف مجهداته لتحقيق الخلود الجسدي(الجسد الرقمي) فلابد من تحقيق طفرة في التطور الطبيعي، وذلك بمجاوزة الجسد البيولوجي من خلال القضاء على الشيخوخة والمرض، فأحيانا نلتقي بأشخاص همهم الوحيد هو أن لا يشيخوا سواء من الناحية النفسية أو الجسدية، ففلسفتهم في العيش هي المحافظة على الشباب الدائم، بحيث كلما تقدموا في السن نلاحظهم يضاعفون مجهداتهم في تغيير شكلهم من خلال

---

[6] – Julien Offray de la Metttrie, www.babelio.com

[7] _لوك فيري بالتعاون مع كلود كيلياي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ترجمة محمود بن جماعة، دار التنوير، بيروت، ط1، 2015م، ص239.

[8] _مرجع نفسه، ص318.

عمليات التجميل، لذلك تطورت الجراحة التجميلية في القرن الماضي، فالهدف منهاكان ليس العلاج بل التحسين[9]،

وهذا ما يتفق تماما الى ما تذهب اليه إلزا غودار في كتابها **أنا أو سيلفي إذا أنا موجود(تحولات الأنا في العصر الإفتراضي)** ، وان كان في سياق آخر وذلك أثناء عن حديثها عن الصور الهشة المتمثلة في صور السيلفي* والتي صارت تملأ العالم اليوم لتنتشر ضمن أفق فضاء أفقي يفتقد الى كل أبعاد العمق، ما يفتح المجال امام التيه والظلال، وذلك من خلال انتشار نسخ مكررة وعابرة لأصل في شكل صور مزيفة تعبر عن محاكاة ساخرة وأحيانا مضللة لا نمسك من خلالها الا على الأشباه الذين من خلالهم تخلق من خلالهم الوجود[10] من جديد، وهذا ما يظهره قولها:"يبدوا أن العالم اليوم يختصر في صوره المزيفة هذا أمر مؤكد، ولكن الأمر يتعلق ب"أنا" هي زيف مصنوع من صور آنية –إنها صور لا تدوم، بل تنمحي دون أن تترك أثرا بمجرد ظهورها، انها تختفي لتحل محلها صور أخرى (...) وبهذا المعنى، فإنه يبين بشكل تام خواء المضمون الحواري والعقلاني بعدد من تبادلاتنا المعاصرة على النيت"[11] .

فقد تحول المجتمع تدريجيا الى حلبة نعرض فيها ذواتنا من خلال صورنا، فمرحلة السيلفي او الصورة تفتح مجال الحديث عن نرجسية جديدة من نوع خاص، فلسيلفي نصيب من العزلة التي يخفيها في أعراضه المرضية لذلك نحن اليوم أمام ثورة مرضية بأتم معنى الكلمة ضاعفت من عزلة الإنسان.لذلك : "سيكون علينا من الصعوبة بمكان تصور إنسان، وتحديدا الإنسان المعاصر، وهو يعيش منعزلا عن العالم تحت دعاوى مختلفة أهمها المحافظة على اصنام التميز والخصوصية من الذوبان والإندثار في سيرورة الكون المتواصلة منذ قرون، أي الإنسان المعاصر، يستقبل يوميا ملايين المعلومات والمعارف ترسل اليه طوعا أو كرها من طرف الآخر القريب المعرف والآخر البعيد المموه" [12]، ذلك أن الإنسانوية الفائقة التي تتخذ عدة مسميات كالإنسانوية الرقمية او السالفي او المتألهة هي سليلة نزعة التمركز والرغبة في التسلط على كل المعمورة الموروثة من فلسفة الأنوار.

---

[9]- Luc Ferry, La révolution transhumaniste, édition plon, 2016,p .10.

* كلمة سيلفي مشتقة من الكلمة الإنجليزية self والتي تعني النفس وتعني أحيانا أخرى "أنا وحدي" وفي سنة 2013 أختيرت السيلفي كلمة السنة في قواميس أكسفورد، وسيدخل في سنة 2015 الى القاموس الفرنسي لاروس وابتداءا مع هذا التاريخ لا يمكن ابدا ان نتجنب الحديث عنه، وهذا ما ورد في كتاب : إلزا غودار، أنا أو سيلفي إذا أنا موجود(تحولات الأنا في العصر الإفتراضي) الصفحة26.

[10] – إلزا غودار، أنا أو سيلفي إذا أنا موجود(تحولات الأنا في العصر الإفتراضي)مرجع سابق، ص ص 11-12.

[11] –مرجع نفسه، ص ص70-74.

[12] –عمر مهيبل، كتابات خارج النسق، مرجع سابق، ص15.

والتي تقدم لنا صورة الإنسان الفائق الذي تشظى بين الاختصاصات الضيقة للتقنية والطب نتيجة انجذابه نحو المركز، وذلك لتحقيق الحلم الذي راود الإنسانية منذ ملحمة جلجامش ونقصد الخلود، ما أدى إلى فقدان وحدة الإنسان، وهذا ما ترجمته الأعمال الفنية ونقصد لوحات بيكاسو الذي كان يصور الوجه متشظيا ومفككا في لوحاته، العينين، الأنف والفم في غير مكانهما، فالتطور التقنو علمي أحدث هزة هائلة داخل الطب التقليدي، بحيث استبدل الأنموذج العلاجي بالأنموذج التحسينيMédecine augmentative ، لذلك نجد الدين قد اعترض على مشروع رواد الهندسة الوراثية المتمثل في التأسيس للإنسانوية الفائقة أو المتحولة، فالإله وحده من يملك قدرة الخلق والتحكم في طبيعة الكائنات فللطبيعة البشرية وللأجنة حرمتها وقدسيتها، لذلك كانت كل محاولة لتعديل الطبيعة البشرية خطوة عنيفة لتحطيم الأخلاق الكونية[13].

لكن المثير للأسف انه في المجتع الحديث صار التقدم فيه في السن رذيلة فالرهان كما قلت سابقا هو الوصول بالإنسان الى اعلى مرتبة في الوجود، فبعدما كان يتحدد الإنسان بالمعرفة والأخلاق صار يتحدد بمقدار جماله طبعا الشكلي، لتتحول الشيخوخة من حكمة الى رذيلة لذلك سعت الإنسانوية الفائقة الى تمديد الأمل في الحياة، في حين انه لا يمكن أن نتصور حياة دون نهاية ستكون مملة بهذا الشكل أليس قلقنا أو خوفنا من الموت هو الذي يولد فينا الرغبة على الفعل والحركة والنشاط، ليقتلعنا من ركودنا وكسلنا فننهض لتشييد مشروع الحياة، فلا شيء في المقاربة البيولوجية مهما كانت دقتها وأهميها يمكنه السيطرة على معجزة الحياة، ولا على دلالة التناهي[14] المتجذرة في الإنسان.

ذلك أن البيولوجيا لا يمكنها ان تظل تنظر للجسد ومعه الوجه ككتلة لحم تجري عليهما تعديلات، فنحن كما يقول ميرلوبونتي:"لسنا فكرا وجسدا، لسنا وعيا قبالة العالم بل نحن فكر متجسد، كيان في العالم"[15] ، فالجسد هنا ليس كتلة فيزيائية_كيميائية، أو قوى أو آلة تنتظم حول النفس، بل هو كيان قادر على الفعل وإقامة علاقات بينذاتية، كما أن له قدسيته وحرمته. ف"إن الشرط الإنساني جسدي، حيث الجسد مادة الهوية على المستوى الفردي والجماعي، والفضاء الذي يمنح نفسه للنظر والقراءة وتقدير الآخرين.فبفضله نحن معينون، معترف بنا، ومحددون بانتماء اجتماعي، بجنس،بسن، بلون الجلد"[16].فما يهمنا هنا هو ذات الإنسان المتجسدة والمدركة المنخرطة في العالم والملازمة لعالم الأشياء، ذات تنفتح وتواجه الآخر من خلال كشف وجهها، كرمز للترحيب به والمؤانسة داخل المجتمع

---

[13] – Luc Ferry, la révolution transhumaniste, op.cit, p.105

[14] _لوك فيري، الانسان المؤله، ترجمة محمد هشام، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت، 2002 ، ص41.

15 –موريس ميرلوبونتي، المرئي واللامرئي، ترجمة عبد العزيز العبادي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1،2008، ص20.

[16] –دافيد لو بروتون، سوسيولوجيا الجسد، مرجع سابق، ص7.

2_في الوجه:

ان الوجه هو مرآة المجتمع؛ اذ تبرز مختلف المظاهر الاجتماعية عليه فالفقير له وجه شاحب حزين، والمدمن لديه عينان غائرتان محاطتان بهالاتان سوداواتان، والعامل الذي استعبده النظام الرأسمالي له وجه متعب و جسد هزيل وعليل ومريض، على الوجه يظهر عمل المجتمع والزمن والمحيط، لذلك نجد مثلا الطوارق عندنا في مجتمعنا الجزائري يغطون وجوههم لحمايتها من الظروف الطبيعية القاسية كالحرارة والبرد الشديد، لذلك نجد وجهاء القوم كانوا يكشفون وجوههم إظهارا لهويتهم، وتعبيرا عن شجاعتهم أمام المخاطر التي تحدق بهم هذا ما ورد في قاموس العرب ابن منظور:"وَوُجوهُ البَلد: أشرَافهُ...ووجُوهُ القَوْم: سَادَتهُمْ، وَاحدُهُمْ وَجْهُ، وكَذَلكَ وُجَهَاؤُهُمْ"[17]، لذلك نجد الرجل النبيل صاحب الشرف لا يضرب عدوه من الظهر بل من وجهه، والوجه ايضا من الوِجهَة والمقابلة أي الاتجاه والقبلة:"والوِجهة والوُجهة: القبلة وشبهها في كل وجهة، أي في كل وجه استقبلته أخذت فيه واتجهت إليك أتجه، أي توجهت،...وتوجّه إليه:ذهب"[18] فمن خلال الوجه تبدأ كل مواجهة ومقابلة يؤسسها الكلام والحوار فهو هنا هو منبع كل كلام لأنه المنطقة التعبيرية المهمة في الجسد ومحل صنع الخطاب والتواصل.

ف: " تجلي manifestation الوجه هو الخطاب الأول، ذلك أن الكلام هو قبل كل شيء طريقة في القدوم ما وراء المظهر، ما وراء الشكل، انفتاح داخل الانفتاح".[19] ، فمن خلال الوجه يلتقي الآخر وجها لوجه مع الذات لتتمكن من التحرر من نرجسيتها لتنفتح عليه فهو اساس كل تواشج حميمي بين الذات والآخر، وقد تغزل وتغنى بهذه اللوحة الفنية الشعراء اذ يقول شاعر الحب ابن حزم الأندلسي في وصف وجه المحبوب:"

"وَجْهٌ تَخرُ لَهُ الأَنْوَارُ سَاجِدَةً والوَجْهُ تمٌ فَلَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِد

دفْءٌ وَشَمْسُ الضُحَى بالجَدْي نَازِلَةٌ وبَارِدٌ ناعمٌ والشَّمْسُ في الأَسَد[20]"

فللوجه سلطة تفرض نفسها على المتأمل لذلك تعتبر العين أشرف اعضائه عند القدماء، اذ لها لغة خاصة معها يصعب تمييز لغة الجمال على لغة الاعتداء، فالعين تبلغ المراد اي ترسل رسائل مشفرة

---

[17] –ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مج6، ج51، ص4775.

[18] – مرجع نفسه، ص4776.

[19] – Emmanuel Levinas, En découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, librairie philosophique J .Vrin, 2010, 4eme edition, p.271.

[20] – علي بن حزم الأندلسي، طوق الحمامة(في الأُلفَة والأُلاّف)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2016،ص114.

فهي ابلغ الحواس بل مرآة النفس المجلوة التي تقف عليها كل الحقائق، فهي في جوهرها ارفع الجواهر اذ هي نورية، فنحن لا ندرك الألوان الا من خلالها، وكذلك لا نتأمل السماء والأجرام والشمس الا بها[21].

ومن خلاله تتأكد هوية الإنسان، ففي بعض المجتمعات كما هو معلوم كانت ولا تزال تطبع علامات خاصة على أوجه أفرادها مثل الوشم الأمازيغي في مجتمعنا الجزائري-المغاربي؛ إذ هو تلبيس للوجه بفضاء رمزي ثقافي، ليبقى بمثابة أثر في "الذاكرة الاجتماعية" التي تجعل الفرد لا ينسى حدوده ووضعه بوصفه فردا ينتمي إلى جماعة ما، فالجسد والوجه هو المكان المركزي الذي تبدأ فيه كلمة المجتمع وتعيد بدءها أيضا، فمثلما يقول الفيلسوف المغربي عبد الكبير الخطيبي:"تبتدئ العلامة الأساسية للوشم المغربي بالعياشة(مابين الحاجبين) ويخضع تقسيم الجسم، بدءا إلى ما هو جبيني، وما هو واقع بين الحاجبين، وعادة ما يخضع هذا التقسيم لشكل جزئي.ثلاث نقاط عمودية، أو أفقية ويشير هيربر herber أيضا إلى استعمال زخرف صليبي مزين بعلامة الزربية(البساط)"[22].

فالوشم المغربي الذي يأخذ أحيانا شكل علامة في شكل زخرفة الزربية الأمازيغية البربرية بالتحديد، يعبر على انعكاس الثقافة الشعبية على الوجه، فهو بمثابة لباس مكتوب يعكس تقاليد اجتماعية شعبية معينة، يكون لباس ثالث للوجه المكسو باللباس والوجه العاري المكسو بالجلد، و من خلال هذه العلامات تتحدد هوية الإنسان أو تشطب منه كما أكدت ذلك ماريا ميشيلا مارزانو Maria Michela Marzano وهي فيلسوفة رومانية بدأت مشوارها الدراسي في مسقط رأسها وبالتحديد في في ثانوية"بيو9" في المدينة، وقد أتمت دراستها في المدرسة العليا ببيز، كما انها اهتمت بدراسة الفلسفة التحليلية والبيواتيقا وذلك في جامة سابينزا بروما، وفي سنة 1998م ناقشت أطروحة الدكتوراه حول **قانون الجسد البشري** لذلك جعلت من الجسد البشري فيما بعد مشروعا فلسفيا لها.[23]أين حللت علاقة الجسد بالهوية الإنسانوية.

وقد انتقلت بعد مناقشتها لأطروحة الدكتوراه الى فرنسا حيث أصبحت عضوا في المعهد الوطني للأبحاث الإجتماعية وذلك في سنة 2000م، ثم شغلت منصب استاذة للتعليم العالي بجامعة باريس-ديكارت وذلك في سنة 2010م ومن أهم مؤلفاتها نذكر:**"تفكر الجسد"** و**"الصناعة الجنسية"**و **"نزيف**

---

[21] – علي بن حزم الأندلسي، طوق الحمامة ، مرجع سابق، ص ص 43-44.

[22] –عبد الكبير الخطيبي، الاسم العربي الجريح، تر:محمد بنيس، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، ط1، 2009، ص ص76-77.

[23] – العلوي رشيد، ميشيلا مارزانو: فلسفة الجسد كمدخل لفهم الوضع البشري تسعى لفهم الفعل الإنساني من دون أن تنسى مطلقاً بعده المادي، Aawaast .com

الرغبة" و "الوفاء أو الحب"و "فلسفة الجسد"و "قاموس الجسد"..إلخ كما انه كانت لها اهتمامات سياسية حيث انخرطت في اليسار الإيطالي وانتخبت كنائبة في البرلمان الإيطالي وذلك سنة 2013م[24].

وبالعودة الى كتابها الأساسي "فلسفة الجسد" ، نجدها تحدثت عن جرائم النازية التي ارتكبتها ضد المعتقلين اليهود بالتحديد، فالعنف الجسدي الذي مورس ضدهم ولد لديهم شعورا بالعجز والتلاشي أصبح بمثابة ذاكرة تعبر عن فقدان وانمحاء هوية الانتماء[25] حيث تقول عن هذه العملية:" إنها عملية إزالة الذاتية، إفقاد الشخصية . حلق شعر رؤوس المعتقلين جميعا، وألبسوا الثياب ذاتها جميعا. وكان لهم العيون الفارغة ذاتها جميعا. لم يعد أي شيء يخصهم، وحتى لم يعد لهم أسماء، وتعلموا سريعا أنهم ليس إلا أرقاما موشومة على أذرعهم اليسرى"[26].

هنا ميشيلا مارزانو تتحدث عن الجسد المعنف والمضطهد والمغتصب أيضا، تحدثت هنا عن جسد أسير الحرب المعلم بأرقام صارت المعبر الوحيد عن هويته وشخصيته فقد اسمه مع تلك العلامة المرسومة على جسده، لم يفقد فقط اسمه بل سلبت منه إنسانيته، فقد تحول الجسد هنا لمجرد شيء بل دمية حيث سلبت منه قدسيته وحرمته بالحجر على كرامته وحريته وإرادته والتطاول عليه بعد العنف الذي مورس ضده، لم يبقى جسدا خاصا بل صار جسما غريبا لا يسعى إلا لحفظ بقائه يمكن أن نلخصه في كلمة "معدة جائعة"، وهذا الوضع كان نتيجة حتمية للتقدم العلمي الغربي والتمركز حول الذات، تعالي وكبرياء الذات الغربية تجاه الآخر الذي جردته من حق الانتماء إلى الإنسانية وجعلته مجرد مكون هامشي لها، فالآخر المعتقل لا يحق له النظر حتى في وجه جلاده.

في حين أن الوجه الإنساني هو المكسب الإنساني- الاتيقي الأكبر في تاريخ الإنسانية، فمن هنا صار هو المفهوم المحوري في اتيقا الغيرية عند الفيلسوف الليتواني الفرنسي ايمانويل لفيناس E.Levinas والذي تصفه الباحثة ماري آن لا كوريه بالبوتقة اليهودية_الروسية الذي يجمع بين الأدب والدين والفلسفة، فهو صاحب الأصل المركب ونقصد اليهودي والروسي والألماني والفرنسي[27]، فلفيناس صاحب فكر تركيبي لا يمكن ان يختزل في اتجاه واحد لكنه متأسس ضمن أفق إتيقي تيولوجي دائما.

---

[24]-مرجع نفسه.

[25] _ميشيلا مارزانو، فلسفة الجسد، ترجمة نبيل ابو صعب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،ط1، 2011 ، ص117.

[26] - مصدر نفسه، ص119.

[27]-Marie-Anne Lescourret, Homo philosophicos, Levinas de L'être à L'autre, sous la coordination de Joelle Hansel, press Universitaires de France,1er édition, Paris, , 2006,p.p.20-21 .

وقد كان المشروع الإتيقي اللفيناسي يرتكز على الرغبة في تفكيك مركزية الذات مع ارث الكينونة باعتبارها فلسفة أولى لتأخذ الإتيقا محلها كفلسفة أولىphilosophie première [28] تؤكد على أولوية الآخر ، وتجدر الإشارة هنا أن عبارة فلسفة اولى قد استخدمها لأول مرة أرسطو وصفا للفلسفة التي تبحث في الوجود بما هو موجود، وفي العصر الحديث استخدمها فرانسيس بيكون كتوصيف للعلم الكلي الذي شبهه بالشجرة التي تتفرع منها العلوم الجزئية، ثم استخدمها هوبز في نفس السياق الذي استخدمه بيكون[29].

لقد عملت الفلسفة الغربية جاهدة منذ عهود طفولتها على اقحام الآخر ضمن كلية الأنا بمنطقها المونادولوجي الاختزالي وربما هذا يستند الى تقليد ديني معين، اي قصة خلق حواء من ضلع آدم وهذا ما نلمسه في قول لموريس ميرلوبونتي:" فالآخر يولد من ضلعي بضرب من الافتسال أو التضاعف مثلما كان الآخر الأول قدّ من قطعة من جسد آدم كما يقول سفر التكوين"[30]، لذلك فكل ذات تشعر باختلاطها بالآخرين، فالآخر كما يؤكد ميرلوبونتي هو توأمي اي شبيهي بل لحم لحمي[31]

لكن مع لفيناس سيختلف الأمر، فبدلا من ان يكون العالم مجالا للفردانية يجب ان يصبح افقا للقاء والحوار مع الآخر الذي يتحدى منطق الكلية الشمولية، غير ان اللقاء هنا ليس لقاء معرفة وتعارف بل لقاء تحية واستقبال للآخر يختلف عن ما كان سائدا في الميتافيزيقا الغربية، وهذا ما نلمسه في الجملة الأولى في ميتافيزيقا ارسطوكل الناس تطمح بطبيعتها الى المعرفة[32]، وهو ما سيرفظه لفيناس فالإنسان عنده لا يتحدد بالمعرفة بل بالإتيقا، وهذه العلاقة الإتيقية تتقوم بلقاء وجه لوجه كما يسميه لفيناس انه الوجه العصي عن الرؤية واللمس والاحساس لانه ليس مرئيا فالوجه في حضوره يكون في رفضه ان يكون محتوى للفهم كموضوع أو محتوى لهوية الأنا[33]

---

[28] -Emmanuel Levinas, Ethique et infini(dialogue avec Philippe Nemo),Libraire Arthème et Rdio –France,1982, p.71.

[29] – عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة،ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984،ص157

[30] –موريس ميرلو-بونتي، المرئي واللامرئي، مرجع سابق، ص125.

[31] –مرجع نفسه، ص26.

[32]- Emmanuel Levinas, Entre nous, Essais sur le penser_A_L Autre, editions Grasset & Fasquelle, 1991, P.15.

[33] -Emmanuel Levinas, Totalité et infini, (Essai sur L'extériorité), Original édition: Martinus Nijhoff, 1 eredition , 1971,p.211.

فنحن حسب لفيناس لا نتأمل الوجه الا في عرائه و ليس في انكشافه و الذي هو عراء وتجرد من الصورة الفيزيولوجية الخاصة ليكون عراء في ذاته، وهو فقط ممكن داخل العالم، فعراء الوجه هو تعريه من كل محدد ثقافي ومن ثم فالوجه يخترق العالم اي عالمنا الخاص انطلاقا من مجال غريب، فدلالة الوجه، تظهر في تجرده في كل ما تحمله الكلمة من معنى وهي دلالة غريبة، لأن الآخر باطلاق يأتي لزيارة الآخر انطلاقا من الوجه[34]

في وجه اليتيم والأرملة والغريب إفصاح عن لغز، لغز الآخرية بإطلاق التي تحفر على الوجه بجاذبية لا تقاوم انه نداء تحريم فعل القتل أي العنف، اي الكلمة الأولى" لا تقتل أبدا tu ne commettras pas demeurte"[35]، فالوجه في النهاية هو وجه سيد العدالة مثل أستاذ يلقّن درس لكن لا يلقّنه إلا بالصيغة الاتيقية التي يمنع من خلالها القتل ليطالب بالعدل في صيغة أمر[36]، يأخذ شكل مقاومة.

ذلك أن الوجه هو المنطقة التعبيرية الأكثر أهمية في الجسد، إذ له طابعا تواصليا واقعيا، وله تعبيرات خاصة بلغة تتعالى على كل سياقات الكلام. انها لغة القصد والحركة والإيماء، فالوجه محل الخطاب والتواصل والاجتماع وكل تعبير يكون بين الذات والآخر الذي كما يقول لفيناس أنا مسؤول نحوه بإطلاق مسؤولية غير مشروطة دون مقدار ودون ثمن، ليرتفع سقف المسؤولية وتصبح ارتهان للآخر، لتسهر الذات على ضعفه وهشاشته ومعاناته وألمه، تخشى على موته أكثر من خشيتها على موتها الخاص، فاللامتناهي لا يحظر إلا في وجهه ليذكرني دوما بمسؤوليتي:" لا بد أن أملك جواب على موت الآخر، في عري الوجه، يجب أن أدافع عن اللامرئي في مواجهة موت الآخر، هو لا يتوقف عن تذكيري بمسؤوليتي، يتساءل عن سبب إلحاق الموت بالآخر"[37]-

ففي الوجه نقرأ وصية تحريم العنف:"لا تقتل أبدا"واحترام خصوصيات الآخر، فالأمر الإلهي الذي يحفر في براءة الوجه رمز وحدة النوع البشري في ضعفه يحضر الاله لتتحد الوضاعة بالسمو، انه الإله الذي يطلب من الأنا أن تمتلك جوابا على موت الآخر، عن العنف والتهميش الذي تعرض له الآخر، انه بمثابة دفاع عن العدالة في وجه الآخر والتي تطلب إنصاف هذا المهمش والمضطهد والمنسي يحاول إفراغ الأنا من أنانيتها، حتى نحن في الجزائر لدينا مثال شعبي جاء في فحواه افعل الخير من اجل وجه الله ليس من أن اجل وجه الإنسان، فهنالك تقاطع نوعا ما مع فكر لفيناس وما هو سائد في ثقافتنا الجزائرية.

---

[34] -Emmanuel Levinas, Humanisme de l'autre homme, Fata morgana, 1972,p.68.

[35] -Emmanuel Levinas, Totalité et infini,op.cit, p.217.

[36] -بول ريكور، الذات عينها كآخر، ، ترجمة جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005، ص 374.

[37]-Gérard Bailhache, Le sujet chez Emmanuel Levinnas, Université de France,édition1,p307

3-اتيقا الوجه:

لقد طرحت هنا ميشيلا مارزانو سؤال جد مهم وذلك أثناء مناقشتها لفلسفة لفيناس حول الوجه وهو:"فما يحصل اذا ما فقد المرء وجهه ؟"[38]، بمعنى كيف تكون الحالة النفسية للشخص الذي يتعرض وجهه للتشويه بعد حادث عنيف؟

في سنة2005 قام الدكتور ج.م.ديبرنار بعملية زراعة وجه وذلك لأول مرة في العالم، وكانت المرأة الشابة ايزابيل دينوار هي من قامت بعملية زراعة الوجه على اثر تعرضها لعضات كلبها لتستفيق بعد الحادثة مشوهة تماما، وعندما نظرت في المرآة اكتشفت بأنه لم يعد لها وجه، وقد صرحت أثناء انعقاد مؤتمر صحفي بعد شهرين من العملية:" في المشفى، لم أخرج من الغرفة طيلة شهر ونصف، فقد كنت أخاف من نظرات الآخرين (...)لم أعد استطيع تناول الطعام بالشكل العادي(...)ومنذ العملية صار لي وجه كالجميع. وأستطيع فتح فمي وتناول الطعام. أريد استعادة حياة طبيعية"[39] ،

ما تريد قوله ايزابيل، أن الخطاب الاجتماعي حتى وان اعتبر الشخص المشوه او الذي يعاني إعاقة شخصا عاديا وعضوا كاملا في مجموعة، إلا انه يبقى يشعر انه منبوذ ويعيش على الهامش لا يستطيع أن يلج عالم العمل، ولا يستطيع أن يقوم بأي شيء إلا أن يكون محاطا برعاية المساعدين الاجتماعيين، لذلك هو يستبعد نفسه بنفسه من الحياة الاجتماعية لأنه يخشى من نضرات الآخرين فهي نظرات جحيم فهي بالنسبة إليه نضرات حزن وشفقة، وكأن كل إنسان ذو إعاقة يكون عرضة تعليق كل المارة[40] ليظهر الجسد في شكل إعاقة محرجة تثير التشوش في التواصل لأنه لا يستطيع الدخول فيما هو طقوسي عادي ، لتصعب طريقة التعامل والتفاعل ، ويبدوا الحرج والارتباك، ثم يتساءل الشخص المشوه عن مدى قبوله داخل المجتمع الذي يعيش فيه، فالتشوه سرعان ما يتم تحويله اجتماعيا إلى وصمة عار، وهذا ما يحدث خاصة في مجتمعنا الجزائري، فكثير من الفتيات لا يتزوجن بسبب بعض التشوهات التي أصابتهن حتى وان كانت طفيفة، انه مظهر لمجتمع غير متسامح بل عنيف وقاسي بسبب جسد إنسان مشوه سبب كل كوابيسه وآلامه، فكلما كانت الإعاقة واضحة ، كلما أثارت اجتماعيا انتباها خفيا مولدا للرعب، والإنسان المعاق يتخذ وضعية توسطية في مجتمعه فهو ليس مريضا وليس سليما، وليس ميتا كليا وليس حيا كليا ، لا هو داخل المجتمع ولا خارجه [41] وهو نفس الأمر الذي حصل مع ايزابيل دينوار إلى غاية أن زرع لها وجه جديد .

---

[38] -ميشيلا مارزانو، فلسفة الجسد،مصدر السابق، ص77.

[39] -ميشيلا مارزانو، فلسفة الجسد، مصدر سابق،ص73.

[40] -دافيد لوبروتون، سوسيولوجيا الجسد، مرجع سابق، ص ص 139-140.

[41] -مرجع نفسه، ص ص 142-144.

لكن السؤال الفلسفي والأخلاقي في نفس الوقت يطرح نفسه وبقوة: هل هذا الوجه الذي زرع لها وأتاح لها أن تكون مثل الجميع، هل هو ملك لها؟ صحيح وبلا أدنى شك كان يلزمها وجه لتعيش وتحفظ بقاءها وتستعيد صورة إنسان سليم، وتكون لها القدرة على مواجهة نظارات الآخرين، لكن هل ستستطيع التعرف على ذاتها أثناء امتلاكها لوجه جديد، لم يكن ملكها؟ هل ستعرف نفسها عندما تنظر للمرآة؟.

هذا ما أبدت فيه اللجنة الاستشارية للأخلاق المهنية رأيها سنة2004م، لافتة الانتباه إلى المسائل الأخلاقية التي أفرزتها عملية الزرع التأصيلي للأنسجة متعددة العناصر في حالة زراعة الوجه، مستذكرة الجوانب الاجتماعية والتاريخية للإدراك الحسي للوجه البشري:"إن حيازة وجه تصوغ المعنى الذي كونه المرء عن نفسه، وهي أيضا أحد أسس التواصل المتبادل. إن امتلاك الوجه له نتيجة لهذا الواقع معنى أخلاقي معترف به بالإجماع"[42]

إن الوجه كما يقول لفيناس هو بصمة الشخصية، ما يميزه وحدانيته وخصوصية تقاسيمه وإيماءته، يجسد حقيقة الكائن البشري، فلا توجد وجوه عمومية، قابلة للاستبدال إلا إذا كانت أقنعة مثل أقنعة الممثلين على المسرح، الوجه تحييه تعابير تترجم الانفعالات الأشد عمقا والتي تجعله فريدا ومتميزا، هو أساس التواصل وكل علاقة اتيقية بين الذات والآخر ، فمثلما يقول مارتن بابر:"لا توجد أنا مستقلة بذاتها، انما هناك فقط تلك المعبر عنها في الكلمة الأساسية أنا-أنت وفي الكلمة الأساسية أنا-هو لذلك حين يقول الانسان أنا فانه يشير الى هذه أو الى تلك-وأنا التي يشير اليها حاضرة حين ينطق بها"[43]، ذلك أن عالم الانسان مزدوج ومركب، وهو ما يتناسب مع طبيعة الكلمات المزدوجة فالكلمات الاساسية ليست منعزلة بل مركبة، لذلك كانت الكلمة الأساسية هي أنا-أنت[44]، والوجه من المواجهة اي اللقاء لذلك كان أساس وبداية لكل لقاء بين الأنا والأنت اي الآخر.

كما أن كل ملامح اليسر والعسر ترتسم على الوجه لذلك الإنسان السوي يجد صعوبة في إلحاق الأذي بشخص آخر لذلك كانت" العلاقة مع الوجه ذات بعد اتيقي، فهو ما لا نستطيع تعريضه للفناء"[45]، فللوجه دائما سؤال عن سبب إلحاق العنف بل الموت بالآخر؟ وذلك في عرائه وفقره وبراءته وعذريته بل هشاشته.

---

[42] -ميشيلا مارزانو، فلسفة الجسد، مصدر سابق، ص73.

[43] -مارتن بابر، أنا وأنت، ترجمة أكرم أنطاكي، معابر للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010، ص7.

[44] -مرجع نفسه، ص7.

[45]-Emmanuel Levinas, Ethique et Infini, op .cit, p .81.

والإقبال نحو الآخر يشترط أولا تجنب تأمل لون العينين، لأن ذلك سيقف حائلا أمام التأسيس لعلاقة اجتماعية، في حين أن النظر للوجه له بعد اتيقي في المقام الأول والأخير، فعندما أرى أنفا وعينين ووجنتين وذقنا، استطيع إدراك ذلك ووصفه بالتدقيق، لكن النظرة للوجه تختلف عن النظر للأشياء والموضوعات، لأن الوجه دائما هو ما هو خاص وما يتعذر عن الاختزال، ليستمد معناه من ذاته لا من شيء آخر، فحقيقة الوجه لا تتشكل من رؤيتنا له، بل من خلال فكرنا الذي يهبه معنى يأخذنا لعالم آخر[46]، إذ لا بد من التحلي بالحياء عند النظر إليه.

انه المعنى الكامن وراء الصفات الفيزيولوجية للوجه، والكلام وراء الشكل والتضرع خلف النزاهة، لتتحد الوضاعة بالسمو، ليصبح وجه الآخر معبدا، لأن اللامتناهي لا يحضر إلا فيه، والذي لا يأتي إلا في صورة اثر Trace[47] في وجه اليتيم والأرملة والغريب إفصاح عن لغز، لغز الآخرية بإطلاق التي تحفر على الوجه بجاذبية لا تقاوم" لا تقتل أبدا"[48] ليحدث اللقاء الاتيقي بين الذات والآخر، والذي يأخذ شكل صدمة و اتهام.

انه الخطاب الأول لوجه الآخر، والذي يجبر الأنا على تقديم تأويل اتيقي له، فكل ملامحه تنطق بالأمر الإلهي الذي يحرم فعل العنف والقتل ، فالوجه في النهاية هو وجه سيد العدالة، مثل أستاذ يلقّن درس، ولا يلقّنه إلا بالصيغة الاتيقية التي يمنع من خلالها القتل ليطالب بالعدل في صيغة أمر[49]، فيتأسس الوعي هنا كوعي نبوي بالآخر الغائب، نرى فيه الحضور الخفي للإله الغائب والذي ننتظر دوما قدومه، فتتشكل الذات في النهاية كمفعول به، باعتبارها متلقية للأمر الإلهي من الآخر سيد للعدالة.

ذلك أن النداء الذي يضئ الوجه يسألني عن سبب إلحاق الموت بالآخر، وينتظر مني جواب، لذلك لا بد أن املك جواب عن موت الآخر، لأدافع عن اللامرئي في مواجهة موت الآخر، الذي لا يكف عن تذكيري بمسؤوليتي، فهو بمثابة صوت قديم لآلاف السنين، ففي الوجه يظهر عمل الزمن، لأنه حاسوب الزمن، ذلك الزمن البعيد القريب، والذي يحفر في هذا الكتاب المفتوح، بحيث يخط عليه أعمار الحياة، الشباب والكهولة والشيخوخة، ليظهر على البشرة دمار وعمل الزمن، ونقصد تلك التجاعيد المحفورة على الوجه، فهي الأثر الممحي المداس، والذي لا يكف دوما عن الظهور على الرغم من انسلاخ الجلد[50] إنها اثر الماضي

---

[46]- Ibid, pp.79-81

[47] -Emmanuel Levinas, En découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, op.cit,p.286.

[48] -Emmanuel Levinas, Totalité et infini,op.cit, p.211.

[49] -بول ريكور، الذات عينها كآخر، ، ترجمة جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005، ص 374.

[50] -Xavier Tillietie, Levinas et limage de la trace, De l Etre à l Autre, o.p., cit,pp.139-140

المنسي، ذلك الزمن الذي يسبق زمن الأنا، والذي لطالما أعرب لفيناس عن رغبته في العبور إليه، في ما وراء الكينونة، للعبور لزمن آخر بلا أنا ،الإله لا يأتي إلا في الوجه حسب لفيناس، لذلك فعملية زرع الوجه هي غير محببة من الناحية الدينية، وكذا الأخلاقية.

والوجه يجعل الإنسان حاضرا، يظهره ويحدده يجعله في الوقت ذاته غريبا وقريبا، غريبا لأنه لا يمكن أن يختزل في ذات أخرى فهو يظل دائما غريبا عنها، وقريبا لأنه من خلاله تتشاطر الذات والآخر إنسانيتهما، فالوجه رمز وحدة الجنس البشري يتيح اللقاء وتبادل النظرات وتدفق الكلام، هو أشبه بلوحه فنية تحتاج لفك رموزها الخاصة، انه علامة الوضع البشري، لذلك هو غير قابل للاستبدال، غير أن التطور التقنو العلمي الهائل الذي أحرزه علماء الهندسة الوراثية، لم يطل وجه الإنسان فقط بل كل جسده، ما جعلنا نتساءل عن مصير الجسد في الفترة المعاصرة. فحضارة العولمة جعلت سكانها يتلاشون روحيا وقيميا وأخلاقيا، صار الإنسان ذا بعد واحد على حد تعبير هاربرت ماركيوز وهو بعد مادي، ما يؤكده قول ميشال فوكو سابقا:"الإنسان قد انمحى مثل نهاية البحر على وجه الرمال"[51]فالإنسان اختراع حديث قد شارف على نهايته، صار مهترئا لأنه فقد جميع صفاته الإنسانية.

ربما كان ذلك نتيجة لشدة إعجاب المجتمع الغربي الحديث بالمبدأ الذي صاغه داروين"الصراع من أجل البقاء" ، البيولوجيا الداروينية، والتي كانت حسب والتر بينيامين Walter Benjamin تطورا طبيعيا لمشروع الأنوار كما تبلور مع أصحاب نظريات العقد الاجتماعي والحق الطبيعي التي تمنح الأولوية للحياة الطبيعية على الحياة القيمية والروحية، والتي تتشدق بمفهوم التقدم الذي لا يعبر إلا غريزة بهموتية وهي في الحقيقة مجرد دوغما النجاح في التاريخ الطبيعي[52]، على حساب الآخر الذي اغتصبت إنسانيته منع من حق أن يكون هو نفسه، فقد حاولت الذات الغربية
بشتى الطرق أن تبتلعه وتقحمه ضمن منطقها الاختزالي .

لكن زراعة الوجه ليس فقط زرع وجه قد تعني لدى البعض زراعة أمل وزراعة حياة جديدة لديه لينخرط ككائن مرحبا به في المجتمع والعالم، فبعد عملية زراعة وجه ايزابيل دينوار توالت عمليات زراعة الأوجه لحوالي أربعين شخص في كثير من دول العالم، في كندا مثلا اجريت عملية لموريس الذي تشوه وجهه على اثر حادث حريق في سنة 2011 م، حيث وصف الاطباء حالته بحرب الوجه Guere de visage، وذلك نتيجة للضرر النفسي والجسدي الذي تعرض له، لكنه ظل متمسكا بأمل ان يحضى بفرصة ثانية في الحياة، وقد اجريت له العملية بنجاح من قبل الطبيب دانيال بورسوت D.Borsuk

[51]-Michel Foucault, les mots et les choses, Gallimard, Paris, 1966, p.398

[52] -Walter Benjamin, Œuvres, traduit, Maurice de Gandillac, Pierre Rusch, Rainer Rochiltz, folio essais, A D A G P, catégoire, 2000, p.211-212

ليتمكن من يحيا من جديد[53]، فالوجه الجديد اعاده الى الحياة، وبهذا فلن يعاني موريس أكثر،فقد أصبح له هوية جديدة وهي هبة ممن تبرع بعد توفيه في حادث مأساوي.

خاتمة:

وعلى الجملة يمكننا أن نقول بأن الوجه هو بصمة الشخصية وأنبل أعضاء الجسد، فهو موضع الخطاب بامتياز، اذ له لغته التعبيرية المباشرة وله أخرى تتجاوز منطق الكلام الى الايماء والقصد والاشارة، فهو يترجم أكثر الانفعالات عمقا والمرتبطة بالانسان، لذلك كان أساس كل تواصل وكل علاقة اتيقية بالغير والعالم؛ غير أن التطور الكبير في المجال التقنو علمي خلع عن الوجه قدسيته وحرمته، فقد أصبح في الطب الحديث مجرد كتلة لحم يجري عليها علماء الهندسة الوراثية تجاربهم و الذين استبدلوا الأنموذج العلاجي بالأنموذج التحسيني، الأمر الذي أدى الى تغيير ملامحه من خلال عمليات التجميل، بل استبداله بوجه آخر، مثل أقنعة الممثلين على المسرح، الأمر الذي يتعارض مع الرؤية الاتيقية والدينية، وهذا ما بينته ميشيلا مارزانو أثناء قراءتها لفينومينولوجيا الوجه عند ايمانويل لفيناس، فالإله وحده من يتحكم في الخلق وهنا يجب أن تتدخل الاتيقا لمراجعة نتائج الطب ومنزلة الوجه في الطب، فلا بد أن ننتقل إلى تقديس عمليات تجميل الوجه الى تقديس الوجه في عرائه وفقره وعذريته بل هشاشته وضعفه، لا بد ان نقدس القلوب وقيم الإحسان، ونقصد الجانب القيمي المعبر عن إنسانية الإنسان، والذي من شأنه أن يقيم علاقات اجتماعية سليمة دون أقنعة، تقوم على العطاء وحب الغير .

قائمة المصادر والمراجع.

1-قائمة المصادر:

أ-باللسان الأجنبي:

, editions Grasset &)Essais sur le penser_A_L Autre(Emmanuel Levinas, Entre nous, – Fasquelle, 1991.

-Emmanuel Levinas, Totalité et infini, (Essai sur L'extériorité), Original édition: Martinus Nijhoff, 1 erédition , 1971.

-Emmanuel Levinas, Humanisme de l'autre homme, Fata morgana, 1972.

-Emmanuel Levinas, Ethique et Infini, (dialogue avec Philippe Nemo),Libraire Arthème et Rdio –France,1982.

[53] تحديات الحياة بعد عام من أول عملية زراعة وجه في كندا www.rcinet.ca–

-Emmanuel Levinas, En découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, librairie Vrin, 2010, édition 4. .philosophique J

ب-باللسان العربي:

_ميشيلا مارزانو، فلسفة الجسد، ترجمة نبيل ابو صعب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،ط1، 2011.

2-قائمة المراجع:

أ-باللسان الأجنبي:

- Gérard Bailhache, Le sujet chez Emmanuel Levinnas, Université de France,édition1

-Luc Ferry, La révolution transhumaniste, édition plon, 2016.

Marie-Anne Lescourret, Homo philosophicos, Levinas de L'être à L'autre, sous la - coordination de Joelle Hansel, press Universitaires de France,1er édition, Paris, 2006 .

- Michel Foucault, les mots et les choses, Gallimard, Paris, 1966.

Walter Benjamin, Œuvres, traduit, Maurice de Gandillac, Pierre Rusch, Rainer Rochiltz, - .folio essais, A D A G P, catégoire, 2000

ب-باللسان العربي:

- إلزا غودار، أنا أو سيلفي إذا أنا موجود(تحولات الأنا في العصر الإفتراضي)، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي للكتاب الدار البيضاء، ط1، 2019.

-بول ريكور، الذات عينها كآخر، ، ترجمة جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005.

-ديفيد لوبروتون، سوسيولوجيا الجسد، ترجمة عياد بلال و ادريس المحمدي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة.

- علي بن حزم الأندلسي، طوق الحمامة(في الأُلفَة والأُلاَّف)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2016.

- عمر مهيبل، كتابات خارج النسق، دار الروافد الثقافية-ناشرون، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، وهران، بيروت، ط1،2020.

-عبد الكبير الخطيبي، الاسم العربي الجريح، ترجمة محمد بنيس، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، ط1، 2009.

-لوك فيري، الانسان المؤله، ترجمة محمد هشام، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت، 2002 .

_لوك فيري بالتعاون مع كلود كيلياي، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ترجمة محمود بن جماعة، دار التنوير، بيروت، ط1، 2015.

-مارتن بابر، أنا وأنت، ترجمة أكرم أنطاكي، معابر للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2010.
- موريس ميرلوبونتي، المرئي واللامرئي، ترجمة عبد العزيو العيادي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008.

3-قائمة المعاجم والموسوعات:

-ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مج6، ج51
-عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة،ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.

4-المو اقع الإلكترونية:

www.franceculture.fr Biographie de Jean-Pierre Changeux
Julien Offray de la Metttrie, www.babelio.com
www.rcinet.ca تحديات الحياة بعد عام من أول عملية زراعة وجه في كندا
العلوي رشيد، ميشيلا مارزانو: فلسفة الجسد كمدخل لفهم الوضع البشري تسعى لفهم الفعل الإنساني Aawaast .com